الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

عيسى بن هشام يمثل في الإذاعة :

أشرت في الأسبوع الماضي إلى القضية التي ستنظر أمام محكمة مصر الكلية يوم ١٣ يونيه القادم بشأن التمثيليات التي تذيعها محطة الإذاعة بعنوان «عيسى بن هشام» وقد رفع الدعوى إلى المحكمة خليل الوبلحي بك شقيق محمد الوبلحي بك مؤلف كتاب «عيسى بن هشام أو فترة من الزمن» مطالباً وزير الشؤون الاجتماعية ومدير الإذاعة ومؤلف التمثيليات ومخرجها ، بأن يدفعوا إليه ألف جنيه متضامنين .

وقد بدأت قصة هذه المسألة في سنة ١٩٤١ حينما عرض الأستاذ أحمد شكري على خليل الوبلحي بك أن يصرح له باقتباس تمثيليات إذاعية من الكتاب ، فوقع له بالتصريح ، ولكنه لما سمع التمثيلية الأولى رأى أنها مسخت مقاصد مؤلف الكتاب ، إلى أنها أهدت باللغة العامية المبتذلة ، فألغى ذلك التصريح ، وأفضى بالأمر إلى الدكتور طه حسين بك — وكان إذ ذاك المستشار الفني للإذاعة — فمنع الدكتور الاستمرار في هذا العمل . وفي سنة ١٩٤٨ استأنفت الإذاعة تلك التمثيليات ، وراح المذيع يقول في عبارته التقليدية : «محمد النزاوي يقدم عيسى بن هشام تأليف أحمد شكري وإخراج محمد النزاوي ... الخ» فأرسل شقيق المؤلف الحقيق إلى الإذاعة يطلب عدم إذاعة التمثيلية والكف عن التمادي في هذا التصرف . ولكن الإذاعة استمرت تذيع حلقات متتابعات تدور حوادثها على ما تضمنته قصة الكتاب مع تشويه الأهداف الأدبية فيه وابتذال اللغة ، ففي إحداها إزراء بالنيكلي باشا بطل قصة الكتاب ، من أحد (الخواجات) مما لا يتفق مع تصوير المؤلف الأصيل لهذه الشخصية ، وفي إحداها تحول امرأة في المحكمة الشرعية للباشا : (يا منيل على عينك ... يا مدهول ..)

وهكذا إلى هذه الحال يصير ذلك الأثر الأدبي القيم الذي يعد المحاولة الأولى للقصة المصرية الحديثة الأصيلة ، بل هو في رأي التاريخ الأدبي المعبر من القامة إلى القصة في عصرين من عصور الأدب العربي .

ولنفرض أن الإذاعة ليس فيها أدباء يعرفون مكان « عيسى ابن هشام أو فترة من الزمن » وعلى هذا أذاعت مراراً أن مؤلف « عيسى بن هشام » هو أحمد شكري ، ولكن ما بالها تستمر في ذلك وقد علمت وعلم مديرها — من الخطاب المرسل إليه ومن الاتصالات التي حدثت من أجل الموضوع والتي احتج فيها المدير بالتصريح السابق — أن مؤلف « عيسى بن هشام » هو كاتب مصري كبير اسمه محمد بك الوبلحي — ما بال الإذاعة وقد علمت ذلك لا تزال تعلن أن المؤلف هو أحمد شكري بعد أن تعلن أن النزاوي يقدم .. ؟ وكيف تستبيح الإذاعة ومن يعملون فيها الحقوق الأدبية العامة — بصرف النظر عن حقوق الورثة المادية — فتحيل الأدب الرفيع إلى كلام مرذول ، والفن العالي إلى بضاعة مما تزجيه إلى الناس ... ؟

تمثيل كرامات الرسول :

طلبت جمعية الشبان المسلمين من محطة الإذاعة ، إذاعة مسرحية تمثلها على مسرحها ، فاطلعت المحطة على المسرحية فرأت فيها مشهداً تظهر فيه شخصيات تمثل بعض الصحابة وآل الرسول وخاصة فاطمة الزهراء ، فأرسلت إلى فضيلة مفتي الديار المصرية تستطلع رأيه فيها قبل إذاعتها ، فرأى فضيلته أنه لا يليق إطلاقاً أن تمثل شخصية فاطمة الزهراء أو يسمع الناس ممثلة تتحدث باسمها .

وقبل ذلك أذاعت المحطة تمثيلية قصيرة اسمها « زينب وأبو العاص » ونشرت مجلة آخر ساعة صور هذه التمثيلية وهي تمثل في دار الإذاعة ، ومن بينها صورة زوزو حمدي الحكيم تمثل شخصية زينب بنت رسول الله ... فلماذا لم تستفت الإذاعة فضيلة المفتي قبل إذاعة تمثيليتها وقبل الإذن بنشر صورها في المجلة ؟ وهل يا ترى تمنع إذاعة « تسجيلها » ؟

مظاهر النشاط المدرسي مظاهر فقط :

نحن الآن في أواخر العام الدراسي وقد حفل الشهر الأخير

كما يحفل كل عام، بمظاهر النشاط المدرسي أو بالحفلات النهائية لهذا النشاط، من تمثيل وألعاب ومعارض فنية وغير ذلك ... ويبذل المشرفون على المدارس جهداً كبيراً في ذلك، ولكن هل تتجه هذه الجهود نحو الفائدة التربوية المتوخاة من هذا النشاط أو هي تتسرب نحو أغراض أخرى ؟

لا أنسى منظر ذلك الناظر الذي رأيته في مكتب أحد رجال الوزارة الكبار، وهو يتحرق شوقاً إلى تشريف الكبير حفلة التمثيل التي ستقيمها المدرسة، إنه يلح على السكرتير في طلب الإذن له، وكل ملامحه تنطق بالأهمية القصوى التي يعقدها على حضور الشخصية الكبيرة حفلة المدرسة. إن الرجل يبتغي الظهور بالمقدرة والنشاط أمام الرؤساء، وتصور ما وراء ذلك وما سبقه من إعداد.

هؤلاء نفر من الطلاب اختارهم المشرفون لتمثيل الرواية التي تعتزم المدرسة تقديمها على أحد المسارح في آخر العام، وعكف المدربون — وقد يختار بعضهم من خارج المدرسة — على تدريبهم، وكثيراً ما يحتاج الأمر إلى ترك الحصص والدروس للقيام بهذا التدريب في الوقت الذي يستعد فيه جميع الطلاب للامتحان آخر العام. والنتيجة هي أن تنجح الحفلة ويتباهى الناظر. أما الطلبة فسبعة أو ثمانية منهم دربوا على التمثيل تدريباً شاغلاً عن بعض الدروس، وباقي الطلاب كل غنمهم مشاهدة التمثيل ...

وهذا مرض يشتمل على أعمال فنية تنسب إلى التلاميذ، ويعلم الله أن أيدي المدرسين، أو بعض الفنيين من الخارج، هي الغالبة عليها ... وقد دعيت في هذا الأسبوع إلى حفلة شاي أعدت لمناسبة افتتاح معرض مدرسي، ولا أقدر نفقات الحفلة بأقل من خمسين جنيهاً، ثم نهضنا إلى المروضات فإذا هي لا تساوي كل هذا الزئاط، ولمحت الطلبة بجوارها لا يفقهون أسرارها، والبركة في شرح المدرسين ..

لو أن وراء تلك المظاهر ما يدل على أصالة الطلاب فيها وعلى استفادتهم من الدربة عليها استفادة شاملة أو غالبة، لكان الأمر على ما نحب لهم. ولكن يبدو أن مظاهر النشاط المدرسي خطوط متوازية مع الخط الرئيسي وهو السباق نحو الفوز في الامتحان. وكل ذلك دون العناية بما هو في الأصل غاية.

كرسي الاعتراف :

يعيش الكردينال «جيوفاني»

حتى كول الأسبوع

□ اختير السيد منير القاضي رئيساً للمجمع العلمي العراقي خلفاً لمعالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي، وكان الأستاذ القاضي قبل ذلك عميداً لكلية الحقوق في بغداد.

□ كان الدكتور زكي نجيب محمود كتب مقالاً بالأهرام نقد فيه تمثال معنى كامل وأثنى على تماثيل إبراهيم باشا ولا طوغل وسليمان باشا، قائلاً بأن سبب ذلك هو أن صانعي التماثيل القديمة أجانب، أما صانع تمثال مصطفى كامل فهو مصري... وقد رد عليه الأستاذ مختار الوكيل بكلمة في الأهرام أبان فيها أن صانع التمثال الأخير تمثال فرنسي هو ميرسانيه.

□ جاء من كراتشي أن محطة الإذاعة الباكستانية ستعمل على إذاعة أحاديث لمشاهير الكتاب والمفكرين إلى مصر بعد تسجيلها في القاهرة.

□ كتبت الحكومة الهندية إلى الحكومة المصرية في شأن التبادل الثقافي بينهما، وذلك بأن ترسل الهند إلى مصر بعثة علمية لمدة ثلاث سنوات، وكذلك تعمل مصر، على أن تقوم البعثة الهندية بدراسة أحوال مصر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وتقوم البعثة المصرية بدراسة التاريخ الإسلامي وفنونه في عصور الإسلام المختلفة بالهند.

□ تضمن تقرير اللجنة المالية بمجلس النواب عن طلب اعتماد في الميزانية لإنشاء فرقة نموذجية من خريجي معهد التمثيل، أن الممثلين القدماء يحسنون بنفس إزاء المستوى العلمي والفني لخريجي المعهد، وأن التعاون غير ميسور بين الفريقين في الفرقة المصرية، وأن الأولين ينفردون بالأدوار الهامة ... الخ. ولقد ثار لذلك الممثلون القدماء، وطاب فريق منهم دعوة مجلس إدارة النقابة للرد على ما جاء في ذلك التقرير.

ومهما يكن من شيء فالمشاهد حقيقة أن الممثلين الكبار ينفردون بالأدوار الهامة حتى فيما يتطلب صغر السن.

□ تعقد رابطة الأدباء اجتماعات عامة في أيام الآحاد، تلقى فيها أشعار مبرحة ... ومحاضرات يعقب عليها الدكتور إبراهيم ناجي بأطول منها! وفي يوم الأحد الماضي خرج أحد الأدباء من دار الرابطة متجماً متصدعاً، فلما سئل عما به قال: (أنا خدت قصيدة!) فما رأي الدكتور ناجي في هذه الإصابة المرضية ...؟

□ انعقد في لندن أخيراً مؤتمر مسرحي برياسة السير ستافورد كريبس وزير المالية، ومن أهم القرارات التي انتهى إليها، إنشاء كرسي للمسرح والدراما في كل الجامعات الإنجليزية.

□ اتهمت اللجنة العامة في وزارة المعارف من إعداد مناهج اللغة العربية في مرحلة الدراسة المتوسطة، وقد استبعد فيها النقد بالبلاغة وروعي في الأدب الإكثار من النصوص الأدبية والإقلال من مادة التاريخ.

□ ظهرت في باريس مناديل منقوش عليها شعر في الغزل لشاعر فرنسي، فطالبت جمعية حقوق المؤلفين صانع المناديل بتعويض كبير فما أشد تسامح شاعرنا المجهول المنقوش بيتاه التاليان على السرافقات:

ملك الملوك إذا وهب ... لا تأل عن السبب
انه يعطي من يشا ... ء بغير حد أو أدب

أحد رجال الكنيسة بروما، في قصر أسرته العريقة « آل ميدتشي » مع والدته التي تأمل أن يصل ولدها الكردينال إلى كرسي البابوية ، ومع أخيه الشاب « جوليانو » ، بجوار أسرة « تشيجي » أحد أشراف روما . ويحب « جوليانو » ابنة « تشيجي » واسمها « فليرتا » وهي تحبه . ويحاول « أندريا ستروتسي » الذي يقربه البابا لأنه يجاهد في خدمة الكنيسة بسيفه — يحاول أن يظفر بالفتاة « فليرتا » فيخطبها من أبيها ، فيرفض الأب ، ويدور بينهما نقاش حاد ينتهي بأن يقتل « جوليانو » « تشيجي » بخنجره ، ويأمر تابعين له بنقله إلى باب داره ، ويذهب إلى الكردينال ، ليعترف بخطيئته أمام كرسي الاعتراف ، ثم يذهب إلى حرب أمره البابا بالسير إليها . وعندما يكون « جوليانو » وخطيبته التي فقدت أباها عند أخيه الكردينال ، يقبل محافظ روما ليقبض على « جوليانو » متهماً بقتل « تشيجي » لأنه وجد خنجره بجوار الجثة وكان قد وقع منه عند ما خف لنجدته ولأن اسم « جوليانو » كان آخر ما نطقه القتيل . ويصعق الكردينال لهذه المفاجأة ويؤكد للمحافظ أن أخاه بريء ، ولكن المحافظ لا يسعه به ويسوق المتهم إلى السجن ، ثم يحاكم ويُقضى بإعدامه ؛ وتعم الحفلة بالكردينال شديدة عاصفة لأنه يعرف القاتل ولا يستطيع أن يفشي سر « الاعتراف » وأخوه يساق إلى الإعدام ... وفي خلال ذلك يقبل أندريا القاتل الحقيقي من ميدان القتال ظافراً ، فتستقبله روما بالحفاوة ، ويطلب إليه الكردينال أن يكشف عن الحقيقة في قتل « تشيجي » ولا بأس عليه لأن البابا لا بد أن يعفو عنه جزاء بلائه في الحرب ، فيطلب ثمناً لذلك أن يتزوج « فليرتا » فيعنف الكردينال في مخاطبته ويطرده ويلعنه . ثم يتصنع الجنون ويهيء الجو بحيث يستدرج « أندريا » إلى الإقرار بجريمته على مسمع من محافظ روما الذي كان لدى الكردينال عند ما أقبل « أندريا » وهم بالانصراف ولكنه لما سمع الجدال يعلو بين الرجلين اختبأ قريباً منهما خشية أن يتعدى « أندريا » على الكردينال . ثم يهجم المحافظ على « أندريا » ويمسك به ويطلق سراح « جوليانو »

هذه هي قصة فلم « كرسي الاعتراف » الذي يعرض بسينما أوبرا ، والذي أخرجه يوسف وهبي ومثل دور الكردينال فيه ، وهي قصة مسرحية قديمة مترجمة عن الإنجليزية ، ومثلها يوسف وهبي على المسرح مراراً قديماً وحديثاً ... وأخيراً قدمها على الشاشة كما هي بحوارها وشخصياتها ، لم يغير فيها إلا قليلاً مما اقتضته الحركة السينمائية ، فبدت في ثوب سينمائي يكاد يتمزق ليكشف عن مناظر مسرحية بحتة ، وقد عدمت من السينما ألزم لوازمها وهي المناظر المتنوعة ، فقد جرت كل الحوادث في قصر « آل ميدتشي » ولم تر شيئاً يذكر من روما مدينة السحر ومهد الفن ومبعث الشعر ، كما تقول الأغنية التي بدأ بها الفلم .

ويخيل إلي أن هذا الفلم يتمثل فيه « التقتير » من ناحيتين ، فالتقتير من جانب المنتج في عدم الإنفاق على المناظر والاكتفاء بهذا الاسم المدوي في عالم الفن : يوسف وهبي ، وهو أي يوسف وهبي يبدو رائعاً في مظهر الكردينال كما ترى في صورته بالإعلان في الصحف وقد رفع يديه فبدت فتحتا القميص الرشيقتان ... وقد عنى مصور الفلم بالتقاط مناظره في المواقف المختلفة عناية ظاهرة .

والتقتير من جانب يوسف وهبي بتقديم بضاعة قديمة ، لا تكلفه مجهوداً ولا عناء ، فقد حفظ دوره في الرواية وأجاد تمثيله ، وأتوم ما في الفلم إتقان يوسف وهبي في تمثيل دوره الذي مرن عليه في المسرح ، ولا آخذ عليه إلا ما ينتابه من الصياح في بعض المواقف دون داع إليه ، كما صنع وهو يتمشى مع أمه منفردين في جو هادئ ، إذ هب يخطب فجأة قائلا إنه لا بد أن يحافظ على مجـــد « آل مديتشي » ولا جمهور يخطبه غير أمه والمائدة .

ويبدو لي أن هـذه الرواية لم تصل إلى السينما حتى كان « زبنها » قد اعتصر ... فلم تكن تحتمل كل هذا الذي جرى لها في مصر ... ألم يكن يكفي تمثيلها على المسرح والاعتبار بشكوى « الخشبة » من تكرارها عليها حتى تبلى بها « الشاشة » في آخر المطاف ؟ أو لم تكن أولى بهذه الجهود السينمائية رواية مصرية جديدة ؟ وما ذا يهم الجمهور المصري من « آل مديتشي » وحب السيد « جوليانو » واعتراف « أندريا ستروتسي » ؟ لقد كان الممثلون أنفسهم — فيما بدا لي — ضائقين بهذا الجو يؤدون أدوارهم فيه (والسلام !) وإلا فبأنا أفسر جمود فاتن حمامة (فليبريا) وفاخر فاخر (جوليانو) وظهورهما في مواقف الفلم كأنهما يتفرجان بمناظر قصر « آل مديتشي » وما حوى من العجائب والغرائب ... وهما من أقدر الممثلين ؟!

عباس خضر